

اقبل كف العراق

١٩٨٧ - ١٩٨٣



الفرسان

مطرٌ يبُلُّ سافياتِ الرِّيحِ ،
تحت السُّرُوتِ تصهَلُ لوعةٌ ،
وتلُوبُ بالصُّبُوتِ .
- لا .

قال العواذِلُ ،
مهْرُها غال .
وقالتُ أمُّها :
نذُرُ لعينيها المهورُ وأغمضتُ كمداً
بلا مهْرٍ أريدكُ ،
طفلكَ الموعودُ يُشرقُ في عيوني .
امتدَّ صمتُ اللحظةِ الأولى .
- هل انحسرَ الجنودُ ؟
يموجُ في عينيكَ ليلٌ مقمَّرُ ،

ويطوفُ ولدانُ ،
تطوفُ الحورُ ،
يسكننَ الخمورَ .
- بل انسلتُ مع الدجى
تتخضبُ اللحظاتُ بالوجعِ الجميلِ
جموعُهُم خيلٌ ترعُ الليلَ . . .
- ماذا . هل تناولتَ العشاءَ؟
- أحبُّ كأساً قبله .
.....
«لا ما ارتوتُ بك صادياتُ الروحِ . .
لم تخبُ الحرائقُ . .»
قال بالأمس البيانُ ،
وزادَ :
أنزلنا بعدتهم دماراً
ما نجا منهم دخيلٌ ،
- خائفٌ قلبي ، فلا تُقلعُ مساءَ اليومِ . .
- طيارٌ عراقيٌّ سيحملني

البيانُ يقولُ :
أحرقناهمو في الجوّ ،
طاردنا فلوهمو ،
يضوع هوى الترابِ بنا
ويهفو الفجرُ ،
في كفيّ تجفلُ كفكَ اليسرى ،
وتهزجُ في دمي الأشجارُ
- لا تذهبُ ...
- بليل أبي الخصيب تشبُّ نيرانُ القذائفِ ،
ينجلي ذهبُ العناقيدِ
التي ما هادنتُ ،
تنسلُّ كفكَ من دمي ،
- لا تضطهدني ...
- أنتِ تضطهدينني ،
ترمينَ جمراً في خوابي الصبرِ
لا أبكي .
أتذكرُكم شتاءً مرّ .

كم مطراً أهلاً ،
وأنتَ قربي نذرُ الطرقاتِ ،
نوقظُ هاجسَ الحاراتِ ،
نقذفُ في سكونِ الليلِ جمرَ الوجدِ ،
لا . . لم ينطفِ ،
لا تستريبُ ،
ولا أهادنُ . .
كلما انسلتُ إلى عينيكَ أشرعتي
اكتوتُ فيَّ الجذورُ ،
وأضرمتُ وجدَ البلابلِ
«طفلةُ اليرموكِ تحلمُ بالدمى
في روضةِ الأطفالِ أهدوها حصاناً جامحاً
إذ شبَّتِ النيرانُ ،
كانتَ تمتطيه ، تُغالبُ الدنيا .»
عراقيُّ الهوى .
لمَ ترتديكِ الريحُ إذُ يبغيكِ قلبي . . ؟
هل تحسَّستَ انطفاءَ البرقِ في عينيِّ ،

أغصانُ الضياءِ تلفُ خصري
في عُبابِ البحرِ ،
أغرقنا لهم غواصتينِ ومركباً للجندي
يأخذني الدوارُ ،
ألا تُجيدُ الرقصَ . ؟
- لا .

- بل أتقنُ الكرَّ العراقيَّ الأصيلَ ..
.....

- ألا تُجيدُ الرقصَ . ؟
يأخذني الدوارُ
بواحةٍ في الشامِ أصرخُ بالنخيلِ ،
واستظلُّ الأرزَ
دباباتهم في الليلِ تعبرُ روضةَ الشامِ المباحِ
لو انهم فكّوا قيودَ القدسِ ،
ما حلّت ملامتُهُم .
ببرقةٍ تسقطُ الراياتُ . واعمراهُ ،
في برلينَ تجهشُ طفلةٌ من اجلِ

شاتيلا وصبرا ،
تنشجُ كريستينُ
عارُ من محيط الأرض يكتنفُ الخليجَ . .
- ألا تجيدُ الرقصَ . !!
- لا . بل أتقنُ الموتَ المكابِرَ
صولةً أخرى وينحسرونَ .
يُفشي الدغلُ سرَّ الرعشةِ الأولى ،
وأسقطُ في يد الأمواجِ ثانيةً
يظللني الغمامُ ،
- ألا تجيدُ الرقصَ . ؟
سكينٌ بخاصرتي ،
وسيدةٌ تخضّبُ وجهها بالصبغِ
تستلقي على كلِّ الدروبِ ،
يُريعُها فيَّ التحدي
عُصّةٌ ما بيننا ،
وجعُ عراقي يُورِّقنا . .
تلمُّ شتاتها ،

وتُعاودُ التدخينَ ،
في عينيَّ تنداحُ المنى ،
مطرٌ يُزيحُ غبارَ ليلِ الأَمسِ ،
يأخذني الدوارُ .
- ألا تُجيدُ الرقصَ ،
- لا .
بل أُنقنُ الموتَ التباعاً ،
كرةً أُخرى وينحسرونَ ،
- لا تذهبُ ..
- إذنُ تحكينَ لي شيئاً يعلمُنِي الحضارةَ ،
قصةً تعطي مفاتيحَ القراءةِ
في عيونِ الريحِ .
- لكنِّي كتبتُ على الصخورِ نشيدَ ليلكةٍ ..
تشهتُ ذُبْحَهَا عندَ الحجاباتِ ،
الترابُ يُعيدُ أغنيةَ الشبابِ السمرِ ..
يلتفعونَ بالراياتِ ،
في أحداقهمُ غضبٌ يكسّرُ صولةَ الدنيا

وبين زنودهم يتألقُ التاريخُ ،
هل شاهدتهم ،
وسمعتَ حاديهم ؟
- اجلُ . . .
وتوضأتُ كفايَ بالعطر المراقِ
وصلتُ الأرضُ الحرامُ ،
هناك كان الليلُ مملكةً ،
وصوتُك كان مئذنةً ،
- وقنديلانِ عيناك ، انتزعُ قدري
- تكبّلني الخطيئةُ ،
- فانتزعُ قدري ،
انتزعني من عُبابِ النارِ في صدري
-إذنُ تحكينَ لي شيئاً يُدِيفُ الخمرَ في كأسِي
ويزرعُ ليلتي بالضوءِ ،
- لا تذهبُ . . .
على الشطينِ فرسانُ الردى
يتقحّمونَ الموتَ ،

أعرفُهم ،
واعرفُ سرَّ لوعتهمُ . .
بهم في الفجر يأخذني الدوارُ ،
- ألا تُجيدُ الرقصَ ،
سيدةٌ وسيعُ قلبُها
يتمدُّ ساعدها على كتفيك شلالاتٍ وردٍ ،
كفُّها تمتدُّ واحةً عنبرٍ ،
أليلُ يعرفها ،
ويذكرُها النخيلُ ،
ولوعةٌ بصريَّةُ الوجناتِ إذ رويتُ دماً
أمنتُ ، وأشرعتُ الهوى ،
خذها إلى عينيك . .
أنتَ ملكُ هذي الساحةِ الجذلي
بريعانِ الصبا وعرارِ نجدٍ . .
هاهمو يتساقطون على جذوع النخلِ ،
يلتفتونَ نحوَ الأمسِ ،
- كسرى مرةً أخرى

وأحرقنا بهم كلَّ المنافذِ ،
لا مفرَّ ،
البحرُ . صوتُ البحرِ ،
حسْمُ الحربِ ،
- لا . صوتُ عراقيٍّ سيحسِمُها ،
أنا في الليلِ أسمعُهُ ،
يخبِّئني بأحرفِهِ ،
ويعطيني العلامةَ ،
طفلةٌ في الفجرِ تهزجُ :
يا صباحَ الخيرِ يا قمرَ الجنودِ أبي
وتلثمُ بدلةَ الخاكي وتنشدُ :
يا حَمَامَ الدوحِ ،
بلِّغهمُ سلامَ الروحِ ،
تنشدُ :
كلُّها النجماتُ مُلكي ،
كلُّهُ القداحُ
كلُّ البرتقالِ .

هذا أوانُ القطفِ ،
ما تعبَ الرجالُ ،
_سمعتَها . . ؟!
_أبصرتُها في الليلِ ،
كانت غيمةً أسعى لأُمسِكها
فتنأى .

_هل تناولتَ العشاءَ ؟
_أحبُّ فاكهةَ المحالِ ،
وكرةً أخرى .

على أسرابهم (حا-ميم) تقرأ
أختي الصغرى
وأقرأ في الضحى آياً من الفتحِ المبينِ ،
وأشتري شمعاً وحناءً ،
وأنثرُ في الصواني
الأس .

منتصرين عادوا . . يا هلا .
وتصفقُ الحاراتُ . . !

رصاصة

تراوغُ بينَ جبيني ،
وبين الفؤادِ . . .
وتترقُّ ،
تُشعلُ فيِّ الهواجسَ ،
تطفحُ نافورةً بينَ عينيِّ
تنطفئُ النارُ ،
ينسكبُ الفجرُ في لمحّةِ واعدةٍ ..
ويدفعُ نحوي جموعاً من البشرِ الراحدةٍ . . .
فارفعُ كفيِّ سلاماً
وأشرعُ صدري .. سلاماً
وأبصرهم يزرعونَ المنى في حقولِ الرمادِ .

الليل

يَظَلُّ يِرَاقِبُنِي ،
يَسْتَبِيحُ سَكُونِي . .
وَيَفْتَحُ دَرَجَ شُجُونِي ،
وَيُنْشِرُهَا فَوْقَ حَبْلِ عَصِيٍّ . . .
أَطْوَلُهُ .
أَسْتَفْزُ مَوَاجِعَهُ . .
يَتَرَبَّعُ أَرْضاً ،
وَيُشْعَلُ لِفَافَةً ،
وَيُوَاصِلُ .
ثُمَّ عَلَيَّ حِينَ غَرَّةٍ .
يَلْمُ عِبَاءَتَهُ ، يَسْتَرِيبُ .
وَيُقْفَلُ نَافِذَتِي ،
وَيَغِيبُ .

زيارة

وأرُقُبُ صوتَكَ .
أفْتَحُ عبرَ الجدارِ عيوناً
تشدُّ خيوطاً إلى مقلتيّ ،
تعلّقُ وجهكَ
في كلِّ خيطٍ أراهُ هنا يتدلى
وأرُقُبُ صوتَكَ يمسحُ عنّي الهواجسَ ،
لكنَّ سبابةً في الظلامِ تلوّحُ :
لن يتذكّرَ .
لا . لن يجيء . . . !

لغة وأخرى

لغةٌ للرصاصِ ،
وأخرى لطعمِ الهزيمةِ
لغةٌ لعيونِ العراقِ الرحيمةِ ..
لغةٌ لصبايا الهوى المُستلبِ ..
لغةٌ لجراحِ العربِ
فأفقُ يا نَحيلَ الشَّامِ ،
وأشعلُ جذورَ الغضبِ . !

اغتراب

لأنك نبضُ الفصولِ ،
وزهُوُ الفصولِ .
لأنك صحوُ زمانِ ،
يجيءُ غريباً . .
وديِعاً ويفتحُ قلبي ،
ويجلسُ في شرفة نائية . .
فتنهمرُ الروحُ تسقيهِ خمراً
وتنثالُ عطراً . .
فيشتعلُ الشجرُ المستريبُ ،
وأوقنُ أنَّ هواك اغترابُ !

هديل الحمام

صامدٌ كالرياحِ ،
ومرٌّ كطعمِ الهزيمةِ ..
وجعي فيك ، منكفيُّ ،
صارخٌ ،
ذابلٌ ،
يستغيث من الغُصَّةِ المستديمةِ ...

*

طافحٌ كعذابِ العربِ ..
فرحي فيك ،
مستنفرٌ ،
ذاهبٌ ، آيبٌ ،
جرّحِ الوجدُ وجناتهِ والوصبُ ..
فلماذا تروحُ بعيداً ،

وكلُّ العصافيرِ سكرى على مُقلتيّ ،
وكلُّ الطيورِ تنامُ على ساعديّ ..
وكفُّ تنثُّ البذورَ ،
بماءِ الغضبِ ..

*

موجعُ كغزالِ العربِ ..
صوتُك المستفزُّ جراحي ،
ودامِ كليلِ العربِ ...
والذي يطرقُ الفجرَ بابي
سيلقى كتاباً بلا لغةٍ
وطيوراً ذبيحةً ..
وأعمدةً تستريبُ ،
وخوفاً يُهدأُ ثقبَ الجدارِ ،
ومنضدةً مستريحةً .

*

تجئُ وتشعلُ شمعةً .
وتكتبُ فوقَ الجدارِ سطوراً تجرحني ،

ثم تمضي ،
واقراً في عنفوانك ،
أنك ، وحدك تكتبُ سفرَ العشيِّرة
وتكظمُ أسرارها ،
وتُلاوي رَحاها .
وأغمضُ ،
أبصرُ عمريَ فوقَ الفيافي ،
وضوءَ دمائي
أعضُّ على شفتي ،
يتداعى هديلُ الحمام ،
وتُقفلُ بابي وراءك !

حيرة

مَنْ طَرَقَ الْبَابَ . ؟
فِي هَذَا الصَّحْوِ الْأَخْضَرِ
أَعْطَانِي غَصْنَ الْفَلِّ .
وَعَابُ !

عاصفة

مَنْ ألقى النارَ على الأعشابِ ...
هبتْ عاصفةٌ ،
واحترق العنّابُ ...

خيمة

يا شلالَ الوطنِ العربيِّ ،
الطالعِ من ليلِ الكفرانِ ،
المطعونِ بضيمِ حزيانٍ ،
المقتولِ بذلِّ الإنسانِ
القابعِ في خيمةِ بترولِ
يا شلالَ القلبِ الأخضرِ . .
يا شلالَ الفجرِ ،
متى تجتاحُ القمةَ ،
كي ينسدلَ الضوءُ على وجهينا
خيمةَ عطرٍ . ؟

صمت

في البدء كانت كلمةُ
واشتعلَ الريحانُ
قال الولدُ الأسمرُ،
كنُ .
فكان هذا الحبُّ والزمانُ . .
من يومها والنارُ تجتاحُ يمامَ العرشِ
والأكوانُ .
تستقبلُ العشاقَ فاتحينَ ،
بالوردِ مكلِّلينَ
بينونَ قبابَ المجدِ .
من يومها ووجهكَ الفتانُ يُعطي الخبزَ والدفعَ ،
ويُعطي الوجدَ . .
من يومها ،

والروحُ عصفورٌ جريحٌ
في عذابِ الجسدِ السجينِ ..
لائبةٌ بحبِ فارسِ حزينٍ ..
تطوفُ حولِ دارِهِ ،
تخطُّ في رحالِهِ ،
لكنهُ مكبَّلٌ بالصمتِ ..
لكنهُ مكبَّلٌ بالصمتِ ..

هواجس

قالت زنيقة :

من يوقفُ هذا الطوفانُ ؟

قالت جارتُها :

القمر الطالعُ خلف الأشجانُ ،

قال النخلُ :

تعبتُ هذي الأرضُ من الحبِّ ،

فنامي .

يُشرقُ وجهُك ،

تُلقي الثوبَ ،

تنامُ .

بين الصحوةِ والصحوةِ .

يساقطُ منك ندىً .

ويطيرُ يمامٌ . .

يا وجهَ الأَـحْزانِ ،
نما النورُ على وجهِ النيرانِ ،
تدفقَ نبعٌ ،
لكنْ لم يطفئْ لهبَ الأَـغْصانِ !

أقبلُ كَفَّ العِراقِ

لأن هَواكَ يمدُّ بساطَ نعيمِ بروحي ،
ويُجلِسُ كلَّ صغارِ محلّتنا ..
ويحضنُ كلَّ المجازينَ من جَبَهاَتِ القتالِ ...
مددتُ لكفِّكَ كَفِّي ،
فأشرقَ غصنُ الحالِ .

*

لأنَّ الذينَ احتوى قلبُهُم باسقاتِ العِراقِ ...
فروّوا صداهُ دماً ،
ثم غابوا ..
يجيئون كلَّ مساءٍ لسرحةِ قلبي
يدثرهم دَفءُ حبي ..
وعبرَ بساتينِ روحي يفوحونَ عطرا ..
وعبر هَواكَ يهلّونَ فخرا ..

وفي ظل عينيك نشكو لواعج هذا الوثاق .
وتقبلُ وجدَ الفراقُ ..

*

لان هواك يجرحُ روحي
ويجعلُ كلَّ البلادِ بلادي ..
وكلَّ السماءِ مظلةً حبي
وكلَّ اللواعجِ زادي .
لأنَّ هواك يقربني من ذرى المجدِ ،
من ألقِ الوجدِ ،
ألقيتُ أسلحتي ،
واستُبِيحتُ جروحي .

*

لأنَّ هواك يجيءُ بُعيدَ الغيابِ ..
صبياً ،
يخبئُ نعناع (سرسنة) في جانحيه ،
فيشعلُ ليلى ،
ويصرعُ كلَّ عصافيرِ بيتي

ويوقظُ وردي
أجيتك كلَّ صباح ،
وكلَّ مساءً
أقبلُ كفَّ العراقِ ..
أسرَّحُ شعرَ العراقِ ..
أضمُّ هواه بقلبي ، وأشعلُ ناري
وأنتظرُ الجولةَ التاليةَ ..

*

لأنك أنتَ العراقُ ..
لان البساتينَ - أمانةً - بين كفيك
تغفو .
لأنك تفتحُ لي شرفاتِ الجنانِ ..
توسَّدتُ في الفجرِ زندك
واشتعل الأرجوانُ ..



ثلاث قصائد



١- مهادنة

أجيتك في الليلة الواحدة...
مراراً .
تحدق بي
ثم تشرب كأساً ،
تبادلني الحيرة ،
الكتب تنهض ،
كل الأغاني تصير غصوناً ،
تُحاصر فارسها ،
وتدور العصافير مصروعةً
والسقوف تدوخ ،
ووحدي أظل محايدةً ،
أتساءل عن سرّ هذا الضجيج ،
رياح الصبا تستريح على حاجزٍ ،

بين سرب اليمام وبينني ،
أمدّ يديّ ،
فتأتي مراراً ،
وتذهبُ ،
تومضُ ،
تصمتُ ،
تبكي ،
تُهادنُ لاجعةً باردةً ..

ريبة

مرةً في الظلام أتيتَ ،
وكنتُ أحوكُ قميصاً لطفل يغازلني ،
حدقتُ مقلتكَ بزاويةٍ تستريبُ ،
وألقيتَ فيها حصاةً ،
وغادرتَ مرتبكاً ،

...

مرةً في النهار أتيتَ ،
وكنتُ أعالجُ صخرَ الجبالِ
فتحتُ لعينيكَ كفي ،
فألقيتَ فيها مفاتيحَ فجرٍ سيأتي ،
وقلتَ : تعالي .
ولكنني لم أجيءُ ...
واسترابتُ عيونَ الرجالِ !

حكاية

مرةً قلتَ :
إني احبك ،
فانهمّرَ الوردُ ،
وارتبك الشجرُ الغضُّ ،
واشتعلتْ غابةُ النخلِ ،
والتحمتْ مجزرةً ،
وسالتْ دماءً ،
وكرّ ، وفرّ رجالٌ
وغابَ رجالٌ
وكلُّ النساءِ انضوتْ تحتَ رايتنا ،
والصغارُ أووا تحتَ خيمتنا ،
واسترابتْ عيونُ العواذلِ ،
لكنّ زندك ضمّ مع الفجرِ خصري ،

تھاوی الظلامُ صریعاً ،
وخرتُ فلولُ العواذلِ صرعی
وأشرعتُ وجهكَ ،
للمرة العاشرة . !

الخلاص

كيفَ الطريقُ إلى الحقيقةِ . .
سورُكَ الفضيُّ ،
أمَ قلبي البهيُّ ،
أمَ العيونُ المستفيقةُ . ؟
ومتى الخلاصُ ،
وجثةُ في الظلِّ ،
والأخرى تحاورُ صحوةَ الكأسِ اللعينةِ ،
رشفةُ أخرى ،
ويُفشي الدغلُ لآعجهُ
وتنفلتُ الطيورُ . .
تتلفَّتُ الجدرانُ ،
توجسُ خيفةً ،
وهواجسُ في النخلِ تحني هامهُ ،

وتُطلُّ أسئلةٌ ،
وتشتعلُ السطورُ !
كيفَ الخلاصُ ،
ولوعةٌ في الليل توقظُ ياسمينَ الروحِ ،
تجفلُ وردةُ الرمانِ ، يا . .
يا . . أيها الزمن البخيلُ
قربَ قطوفِ المستحيلِ
خذني إليهم مرةً ،
قربُ إليّ جناهُمو
تعبتُ رواابي القلبِ من ريحِ عطولٍ . . .
لا تبتعدُ ،
غصنانِ ،
لا . جرحانِ يرتعدانِ
قال النهرُ :
لن يأتي . .
وقال نجمةٌ
سيجيءُ ،

وانبلج السحرُ :
ومتى الخلاصُ ،
أسوركَ الفضيُّ ،
أم قلبي العصيُّ ،
أم الجروحُ المستفيقة .